التناص القرآني في شعر الخُليعيّ(٦٥٠ هـ)

م. د. ميس هيبت حميد /جامعة كربلاء/قسم اللغة العربية

ملخص البحث

معروف أن القران لا يُعد كتاب تعبد فقط بل هو قانون حياةٍ ،وبحرٌ يمتلئ بالعلوم والمعاني والتعابير ، ومتى ما استعان به الأديب ،سيفيض جمالا على نصه ،فهو مصدرٌ لإغناء الآثار الأدبية إذ يستلهم الشعراء من آياته ،ويقتبسون من ألفاظه وتراكيبه ومعانيه ، و التناص القرآني يعكس طبيعة الشخصية الإسلامية لشاعر من الشعراء، ويقف هذا البحث عند الخليعي لبيان هيمنة النص الديني المقدس ودلالاته في شعره، وبطبيعة الحال فأن دراسة تشعبات أثر النص القران في شعر شاعر ما ستركز على الجانب التطبيقي، ولا ضير بأن تكتفي الدراسة بالجانب التنظيري في تحديد مفهوم التناص.

abstract

The Qur'anic text is one of the richest sources of literary monuments as the poets are inspired by its verses and quote from its alpha dhaza, its structure and meanings, and hence the research sought to touch the sources of the Qur'anic quotation in Khaleei's poetry as a model of this influence to learn about the nature of his Islamic personality

التناص القرآني في شعر الخليعي

مقدمة

الحمد لله ربِّ القران وملهمه على نبيه محمد (ص) الذي أرشدنا سبل الهداية ،والصلاة والسلام على أدى الرسالة وحمل الأمانة محمد (ص)وعلى اله الطيبين وأصحابه المنتجبين

وبعد..

فأن النص القرآني أمالَ أفئدة الناس إلى دين محمد (ص)، وتحدى العرب إذ بهرهم بفصاحته وجمال صياغة نصوصه وعجزوا أن يأتوا بمثله، وهم أهل فصاحةٍ وجمال صياغة ، فتغلغل في نفوس المبدعين، وكان ملهما للشعراء والأدباء ،فالذي يتفحص النماذج الشعرية العربية يجد أثرا واضحا للقران في شعر الشعراء ومن هؤلاء الشاعر الذي تتمحور حوله الدراسة وهو الخليعيّ ،ومن هنا جاء عنوان هذا البحث (التناص القراني في شعر الخليعيّ) ليوضح كيف ترك القران الكريم أثرا في عملية النظم الشعري عند هذا الشاعر،وكيف تداخل مع تجربته الشعورية والفكرية.

هدف البحث إلى استكشاف وتوضيح ظاهرة التناص القراني واستراتيجياته ،والكشف عن الدلالات الجديدة الناتجة عن هذا التوظيف ،الذي يؤكد ثقافة الشاعر الدينية عامة والقرآنية خاصة؛وليبين البحث كيف استثمر ذلك كله في بيان تجربته الخليعي الشعرية عامة ؛لذلك اقتضت طبيعة البحث أن يتوزع على تمهيد أضاء على مفهوم التناص وتفاعل النصوص الدينية وتأثيراتها الأدبية ، وأعقبتُ التمهيد بأربعة مباحث درس المبحث الأول: تناص اللفظة القرآنية ،درس المبحث الثاني: تناص المعاني القرآنية، ودرس المبحث الثالث :تناص القصص القرآنية، فيما درس المبحث الرابع :تناص التراكيب والصور القرآنية، وأعقب ذلك خاتمة بينت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ونسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى .

تمهيد

مفهوم التناص الأدبي

نافذة تطل على نصوص سابقة تلبست في نصٍ جديد ليحتضنها ويمنحنها فضاءً جديدا للبوح ،وتناص القوم ازدحموا[١]،إنَّ أول من تحدث عن هذا المصطلح في الغرب الناقدة الفرنسية البلغارية الأصل جوليا كريستيفا إلا أن هذا المصطلح قد سبق بمفاهيم ودراسات نقدية مثل الحوارية، وأول من استخدمه هو ميخائيل باختين.[٢]،وأكدَّ أن الحوارية علاقةٌ دلاليةٌ بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي، وبذلك فتح النص على كل دوائر التواصل اللفظي.[٣] ،فباختين لم يستعمل مصطلح التناص، ومن باختين استلهمت كريستيفا الخطوط العامة التي رسمت عليها مفهوم التناص وصورته بصورة فنية بأنه "لوحة فسيفسائية من الاقتباسات كل نص هو تشرّيب وتحويل لنصوص أخرى"[٤]،وكريستيفا بذلك أول من طرح مصطلح التناص[٥]،ثم احتضنته بعد ذلك اتجاهات السيميائية والتفكيكية في كتابات ورولان بارت وتودروف، فبارت رأى أن كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه [٦]،وجيرار جينيت رأى أن كل تناص له طرفان نص مؤثر ونص متأثر،وقد استعمل جينيت مفهوم المتعلقات النصية؛ ليحل محل التناص ،فهو حسب ما يرى أجمع وأشمل ويتسع لمختلف العلاقات النصية التي ليس التناص سوى واحد منها[٧].

التناص كما نعرفه اليوم لم يكن مصطلحا مستخدما في الأدب العربي التقليدي لكن فكرته كانت حاضرةً في الأدب العربي القديم، وإن كانت تحت مسميات أخرى أو من خلال مفاهيم مشابهة مثل: الموازنة ،ولمفاضلة ،والوساطة ،و التضمين ،والاقتباس،و الاستشهاد،و السرقات،و التناقض،و المعارضات.

ويقف هذا البحث على تتبع أثر التناص في شعر شاعرٍ استشهد لفضائل أهل البيت(عليهم السلام),بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لحرصه على تبيان فضائلهم بالدليل ؛ليقطع الطريق على مَن هم ليسوا على عقيدته[٨].وهو جمال الدين الشاعر الخليعي[٩] ،و سنعرض ذلك في مفاصل هذا البحث.

المبحث الأول:التناص مع المفردة القرآنية

للفظة منزلة مهمة في اللغة العربية فهي الجسر الذي يحمل المعاني ويمنح النصوص جمالا مميزا ، يقول ابن جني فيها: "الألفاظ للمعاني أزمَّة ، وعليها أدلة ، وإليها موصِّلة "[١٠] . ويقول ابن رشيق : " اللفظ جسم وروحه المعنى..."[١١] ، واللفظ هو ما يجعل الناس يتفاوتون في تعبيرهم فكلما اتسعت خزينتهم اتسعت قدرتهم على التصرف بهذه الألفاظ لخلق صورة أدبية فريدة وأنماط كتابة أدبية متفردة وهذا ما أدركه العرب ، ، فالقلقشندي يشير إلى قيمة اللفظ بقوله : " المعاني وان كانت كامنةً في نفس المعبر عنها فإنما يقوى على إبرازها وإبانتها من توفر حظُّه من الألفاظ "[١٢] ،والقرآن الكريم كلام الله وللفظة فيه سمات خاصة لا يدركها إلاّ من تفرغ لدراسته، ووهب نفسه لمعرفة معالم إعجازه، وسخر وقته للتبحر في سر ذلك الإبداع والجمال الفني الذي يتسم به [١٣]، والسرُّ ليس في اللفظة ذاتها ، وإنَّما لِما يمنحها السياق من معنى ، تناول الخليعي ألفاظ القران الكريم ووظفها في شعره ، ومن ذلك أسماء الله الحسنى ،فقد جعل الله لنفسه أسماءً متعددةً قال تعالى ﴿"قل ادعوا الله وادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [١٤]،وفي ذكر الخليعي لهذه الأسماء سلط الضوء على إبرازها في ساق الشعر ليبين أبعادا مختلفة من التأييد الإلهي لآل البيت ومن ذلك قوله: (المنسرح)

اختلفوا فيك ايها النبأ الـ أعظم إلا من دله النّظرُ
فمعشر آمنوا فزادهم الله ثباتا و معشر كفروا [١٥]

فنلاحظ تمركز لفظ الجلالة (الله) في قلب دلالة النص، و لجأ لها الشاعر في البيت الثاني؛ لإبراز الدعم الرباني للإمام علي فيثبت الله أنصاره ومؤيديه، وقد كنى عن الإمام علي بقوله (النبأ العظيم) وهذا اللقب مستمد من القران الكريم أيضا من قوله تعالى ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ •عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ • الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** ﴾ [١٦]وقد فسّر أتباع مدرسة أهل البيت أن المقصود بـ (النبأ العظيم) هو الإمام على استنادا لقوله "ما لله نبأ أعظم مني وما لله أية أكبر منّي "[١٧]

ومن تناص الألفاظ القرآنية ذكر أسماء القران وصفاته ،فلو طالعنا الأبيات الشعرية لوجدناها تحفل بهذه الألفاظ التي تعبر عن صفات القران وآثاره ومن ذلك : (مجزوء الكامل)

وبمدحـــــه نطـــق الكتـــا ب وضاع نشرا أطيبا

فهـــو العظـــيم وفيـــه مخـــ تلف الورى وهو النبا[١٨] (١٩)

ارتقى هذا النص بذكر لفظة (الكتاب)وهو الاسم الذي ينبض بعظمة القران في الآية الكريمة ﴿ **حم • وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾ (٢٠) إذ ارتبط هذا الاسم _الكتاب _ بهذا القسم العظيم ، وقد استحضره الشاعر للإشارة إلى المكانة العظيمة للإمام(عليه السلام) وفضائله الجمّة وتبيان ما ورد بحقه من آيات قرآنية ،ثم يفصل الخليعي أكثر في البيت الثاني حين وصفه (بالنبأ العظيم) الذي يختلف فيه الورى وهي إشارة أخرى إلى قوله تعالى ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ •عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ • الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** ﴾ (٢١)وقد استند الشيعة الأمامية في تفسير هذه الآية على قول الإمام علي في خطبة الوسيلة "واني النبأ العظيم"[٢٢]فالأبيات التي ذكرها الشاعر تستند إلى نصوص قرآنية تشير إلى فضائل الإمام بحسب العقيدة الراسخة لدى محبي ال البيت، وبعض هذه الآيات قد تكون غير مباشرة فيستعمل الشاعر القران الكريم لتوكيد معناه، ويلجأ إليه قسما يعمق الدلالة ويرسخها(البسيط)

لا والذي اخذ الله الوجود له عل النبيين في تنزيل فرقان (٢٣)

فالفرقان أحد الأسماء القران؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ (٢٤)،وظلت اللفظة القرآنية حين استعملها الخليعي هنا كما هي من دون تغير دلالي يذكر،فالقران له رمزية دينية عظيمة ويستعمل الشاعر أسماء القران وصفاته في خلق تأثر شعوري أكبر والعمل على استثارة المتلقي وجعل الكلمات أكثر إقناعا ،في دعوة منه للتفكر والتأمل في كلام الله ؛وليؤكد بذلك الحقيقة المطلقة التي لا يمكن دحضها وفق إيمانه الراسخ.

كما استعمل الخليعي المصطلحات العبادية ؛لإضافة قوة دينية ومعنوية لرسالته الشعرية، ومصطلح العبادة واسع جدا ويشمل كل ما يقوم به الإنسان إذا اقترن بنية التقرب لله ،ومن هذه المصطلحات العبادية الصلاة الصوم الحج والزكاة وغيرها من العبادات،التي ذُكرت في القران الكريم ،فهذه الألفاظ تحمل رمزيةً دينيةً تمثل الإيمان والسمو الروحي وهي تعين الشاعر على توصيل رسائل أكثر عمقا لما فيها من تأثير نفسي قوي وما تحمله من مشاعر قوية مثل الخشوع والرهبة والتفكر.

وفي مقدمة تلك الألفاظ الصلاة وهي لغةً الدعاء والاستغفار، وهي من الله الرحمة، أما عند المسلمين فهي من الفرائض العبادية ، وقد ذُكرت في القران و اختلفت في الأعداد والمواقيت ،ومن توظف هذه اللفظة في شعر الخليعي قوله على لسان الإمام الحسين في قصيدة ذات بناء درامي: (مجزوء الرمل)

اختُ يا زينب ضمي شمل أهلي واخلفيني

....

واتقي الله وكوني خير أسلاف القرون
وإذا قمت إلى نا فلة الليل اذكريني
وإذا استعبدت مولا ك صلاة فصليني[٢٥]

إذ لجأ إلى لفظة (الصلاة) وهي الركن العبادي المعروف ،وكذلك لفظة (النافلة) التي تشير إلى كل زيادة تطوع في العبادة من صلاة أو صيام أو صدقة ؛ لأنها زائدةٌ عن واجب العبد قال تعالى ﴿" **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾، [٢٦]عضَّد الشاعر نصه بالجناس بين (صلاة، وصليني) مما أضاف بعدا إيقاعيا للبيت أمّا من الناحية المعنوية فهي تؤكد على تمسك أهل البيت (ع) بالفرائض والنوافل، ؛لأنها وسيلتهم في التقرب إلى الله ،وتشير إلى تمسكهم بإقامة الفرائض، وإقبالهم عليها بحبٍّ وطاعةٍ،وفي النص تركيز على الدعم الروحي والتقارب العائلي والعلاقات الروحية العميقة بين الأخ وأخته ،وهو درس للبشرية في العلاقات الأسرية ،فزينب (ع) في النص تمثل مصدرا للدعاء والبركة ، إشارة إلى قوتها الروحية وارتباطها بالله فالإمام الحسين يحتاج لهذا الدعم الروحي الذي تمثله زينب (ع)ودعاؤها ، وهذه الصورة الصامدة للإمام تمثل الأيمانَ الشديد بالقضية وأهدافها السامية .

ومن مصطلحات العبادات الجهاد وهو من الجُهد والطاقة والمشقة ، وجاهد العدو:قاتله والجهاد استفراغ الوسع في الحرب [٢٧] ،إن الجهاد عقدٌ الهيٌّ بين العبد وربه يرخص فيها المسلم ماله وكل ما يستطيع الجهاد به في سبيل الحق ،وجزاؤه الفوز برضا الله قال تعالى :" **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ..** ﴾ [٢٨]، وهذا الفرض يرتبط بقوة العقيدة وينبع منها ومن والإيمان الراسخ والمبادئ الحقَّة قال الخليعي واصفا شجاعة الإمام علي(عليه السلام). (المنسرح)

هذا الذي في الجهاد يكشف عن وجهك ما تتقي من الكرب

بعثت بالبينات وهو لك الشاهد يتلوك غير مضطرب[٢٩]

يجسد النص صورة الإمام علي (ع) وتأييده المطلق للرسول (ص) في حروبه ضد أعداء الإسلام ،ووظف لفظة (الجهاد)وهي الفريضة التي رسخها القران ،وجاء هذا التوظيف لبيان شجاعة الإمام علي وفدائه للدين والرسول بنفسه وصدق عقيدته بهذه الفريضة ، فهو (غير مضطرب)،وهي دلالة على شدة اليقين الراسخ في عقيدة الجهاد ،وهو يقين لا يتزعزع ولا ينتابه الشك،وفي النص دعوةٌ ضمنية للتأمل في البطولات والانتصارات والدور الذي أداه الإمام علي (ع)وفي الشطر الثاني دلالات مرتبطة بالجهاد الروحي.

تتردد أسماء السور المستمدة من القران الكريم في معرض ذكر الشاعر لأهل البيت وواقعة الطف فيقرن حديثه عنهم بالحديث عن تمسكهم بالقران الكريم ليبرز فضائلهم ،قال : (مجزوء الرمل)

يا بني الأنفال والطو ر وأصحاب اليمين (٣٠)

فأسماء السور جاءت لوصف التواشج بين أهل البيت والقران فهم أهل بيت النبوة ،وقد تربوا على ايات القران ونهلوا من تعاليمه قال :

يا بني الطور والحواميم والنحـ ـل وطه والمرسلات ونون(٣١)

أن البيت السابق يتضمن رمزية واضحة تهدف إلى إبراز العلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم وأهل البيت(ع)، مما يؤكد على مكانتهم الروحية الفريدة، ويتجلّى من خلال هذا الربط تجسيدهم لقيم ومعاني الآيات والسور القرآنية في سلوكهم،وحياتهم ، وكأنهم يتوارثون هذه التعاليم ويعيشونها عمليا وروحيا،وقد كنى عن أهل البيت في موضع آخر بقوله (بني الذكر)فوسع ولم يخصص سورة محددة ،وقد توسعت الدلالة تبعا لذلك وهي إشارة لتأثرهم بالقران كاملا ،ودليل على تبحرهم في هذا الكتاب وإيمانهم الراسخ بتعاليمه ،ثم يخصص في الشطر الثاني سورة الفاتحة ،لأنها أم الكتاب قائلا: (مجزوء الرمل)

نـزل في أمِّ الكتاب(٣٢)

ويكرر الفكرة ذاتها في موضع آخر : (مجزوء الرمل)

يا بني طه وحاميـ م وياسين ونون

بكم استعصمت من سرِّ خطوب تعتريني(٣٣)

فالتناص ركز على هذا التماهي بين أهل البيت (ع) والقران وشدة تمسكهم به وبتعاليمه فهم أقرب إليه وأكثر الناس تمسكا بحكم صلاتهم بالرسول كيف لا فبيت النبوة هو محط الوحي والملائكة، وهذه المعاني أضافت للنص إشارات إلى قدسيهم وطهارتهم ومكانتهم الروحية ؛لأنهم الأقرب للرسول، ويتمتعون بنسب نبوي طاهر ،فهم يحملون ذكر الله في حياتهم وتصرفاتهم ،ولأنهم ورثة الهدى والنبوة والتبجيل لهم لارتباطهم الوثيق بالرسول (ص)والقران ،ويتبين من ذلك أن الغرض من أغلب عمليات التناص مع الألفاظ الإشارة على المكانة الروحية لأهل البيت(ع)، وتوضيح دورهم في تفسير الرسالة الإلهية وحفظ معاني القرآن الكريم ، فإنَّ أهل البيت لا يُنظر إليهم كأشخاص ينتمون إلى التاريخ فحسب، بل هم حاملون للدلالات العميقة وللمعاني الروحية للقران.

المبحث الثاني :المعاني القرآنية

تعد المعاني القرآنية الرافد الأصيل للتناص إذ ألهمت الكثير من الشعراء من حيث القيم والمضامين فكانت رافدا لمخيلتهم ، ويعتمدون على إعادة صياغة المعاني الدينية في أشعارهم حتى تنصهر فيها؛ لتجعلها تشع رونقا ،وتجعل النصوص أكثر عمقا وثراءً؛ وذلك ما نجده عند الخليعي فيقول متحدثا على لسان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ذاكراً فضائله التي خصه الله بها: (مجزوء الرمل)

وإلى علمي أشار الله ذو العرش الـــــمكينِ

حيث أحصى كل شيءٍ في إمام مـــــبين

فاسألوا التوراة والإنـ جبلَ عني تجـدوني

واطلبوا في حكم القر آن وصفي تعرفوني(٣٤)

فالبيت الثاني يكاد يكون نظمًا لقوله تعالى :﴿ وكل شي أحصيناه في إمام مبين ﴾،وحاول الشاعر من توظيف الآية إبراز فضائل الإمام علي ،فالشاعر يؤمن إن الآية نزلت في الإمام علي (ع) فعن الإمام الحسين قال:" لمّا نزلت هذه الآية قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا :يا رسول الله هو التوراة :قال (صلى الله عليه واله وسلم) :لا ،قالا :فهل هو الإنجيل ؟قال(صلى الله عليه واله وسلم) لا :قالا :فهل هو القران ؟قال :لا فأقبل أمير المؤمنين علي(عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) هو ذا الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء "[٣٥] فالإمام المبين بما ورد في الحديث ليس التوراة ولا الإنجيل بل من ذكرت صفاته فيهما والمقصود الإمام علي (ع) حيث ذكرت أوصافه بهذه الكتب السماوية حسب إيمان أصحاب مذهب الشاعر وعقيدتهم المتجذرة في رسوخها [٣٦] ،وفي البيت الأخير إشارة من الخليعي إلى نزول آيات أخرى كثيرة في حق الإمام [٣٧]،فهو هنا يقتبس معاني القران ، فالإمام علي(ع) لم يذكر بالاسم في القران لكن هناك آيات يفسرها بعض العلماء على أنها تشير إليه ضمنيا ،وفيها دلالة خاصة على إمامة علي (ع) وللشاعر أبيات أخرى يتحدث فيها عن معجزة خلق الكون من العدم ،،قال: (البسيط)

سبحانه خلق الأشياء مبـــــــتدعا من غير شي بإحـــــــكام وإتقان [٣٨]

في (هل اتى)لذوي الألباب تبصرة فانظر فما ضلَّ مستهد بقران [٣٩]

في البيت الأول إشارة إلى خلق الإنسان والكون و الآيات التي تتحدث عن خلق الكون والموجودات كثيرة في القران ومن ذلك قوله تعالى﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [٤٠] ،فالقدرة الإلهية قدرةٌ مطلقةٌ على الإيجاد و الإبداع والتكوين،إن الخلق يثير في نفس الإنسان تساؤلات حول غاية الحياة ومفهوم الوجود وغايته ، وهذه المعاني ترددت إجاباتها كثيرا في القران وفي البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإنسان " **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** ﴾ [٤١]،وقد جاء التناص القرآني هنا ؛لبيان عظمة الخالق وقدرته،في هذا التناص تكرار للمعاني القرآنية بدون إضافة أو ابتكارٍ أو إعطاء عمقٍ جديدٍ ، فالشعر هنا كأنه ترديدٌ للمعاني القرآنية وعملية نسخ لها دون دلالات إضافية،تدلُّ على إمكانيات الشاعر.

وفي موضع آخر للمدح يشير الخليعي إلى أن تتويج الإمام علي (ع) على خلافة المسلمين جاء بأمر الهي ورد في القران الكريم قال:

أقم عليا عليهوا علما فقد تخيرته من الـــبشر

ثم تلا آية البلاغ لهم والسمع يعنوا لها مع البصر(٤٢)

وبذلك أشارَ إلى آية البلاغ والمعاني الواردة فيها بحق الإمام علي" **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)**"[٤٣] أورد القصة ابن عساكر في تاريخه والحساني في شواهد التنزيل والنيسابوريّ في أسباب النزول والسيوطي في الدر المنثور[٤٤].هذا التناص يجسّد مشهداً يحمل قداسة خاصة؛ لأنه يرتبط بآية البلاغ، ويثبت فكرة الإمامة والخلافة، موضحا دعمه لعلي بن أبي طالب منطلاقاً من الاقتناع بأحقيته، كما يبرز التأثير البلاغي لاستعمال التناص في شعر الخليعي، حيث يضفي شعوراً بالمسؤولية في تقديم الأحداث التاريخية بدقة متناهية، مع استلهام الأحداث التاريخية وإعادة صياغتها ضمن إطار من الشعر ، و في أبيات أخرى يوضح على فاطمة الزهراء التي حرمت من حقوقها بالميراث : (مجزوء الرمل)

وبراني الحزن حتى أخرق الدمع شؤوني

لاغتصاب البضعة الزهـ ـراء ميراث الأمين

باحاديث تنافي النـ ـص في الذكر المبين [٤٥]

ففي البيت الأخير إشارة إلى المعاني الواردة في القران الخاصة بالميراث ،ففاطمة الزهراء (ع) ترث كما يرث أولاد الأنبياء، وفي القران آيات كثيرة تشير إلى أن الأنبياء يورثون أولادهم من بعدهم ومنها قوله تعالى﴿ **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا • يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾ [٤٦]،وقال تعالى ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**﴾ [٤٧] ،فقد احتجَّ الشاعر بهذه الآيات على أحقية الزهراء بميراث أبيها مجيبا على من يرى عدم أحقيتها في ذلك ،والشاعر بهذا يعكس تعميقاً لفكرة الشعور بالمسؤولية في توثيق الأحداث التاريخية، وعرضها بأسلوب شعري، باعتبارها جزءاً من التزامه الديني في الدفاع عن مكانة أهل البيت ورفعة منزلتهم

أما حادثة الطف فإنها تمثل أحد أهم الجوانب التي كثرَ فيها التناص القرآني في شعر الخليعي؛ لأن هذه الحادثة بأبعادها المأساوية الإنسانية والروحانية تتفق مع المفاهيم القرآنية كالصبر ،الابتلاء ،وانتصار الحق ،ومن الطبيعي أن يستلهم الشاعر المعاني القرآنية في سياق تجسيد هذه الحادثة؛ لتعميق الأثر العاطفي والرمزي لهذه الواقعة مما يمنح النص بعدا قدسيا ويغني التعبير الشعري، فيصور الشاعر واقعة الطف و نساء ال البيت ، ومن ذلك تركزه عل وصف حال العقيلة زينب عليهما السلام: (المنسرح)

ظلت تنادي واذلنا يارسو ل الله وصيتهم وما قبلوا

ما حفظوا ما أمرت من وددي الـ قربي ولا عن ضلالهم عدلوا [٤٨]

فالبيت الثاني تناص من معنى قوله تعالى"﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ [٤٩]،وبهذا التناص يشير إلى أن هذه المودة واجبٌ دينيٌّ مرتبط بعقيدة الإسلام وليست مجردَ شعورٍ عاطفيٍّ.

ويستلهم معنى هذه الآية في موضع آخر قائلا : (الخفيف)

يا بني أحمد إلى مدحكم قلـــ ـب الخليعي مُستهامٌ طروبُ

كيف صبر امرئ يرى الود في القر بى وجُوباً وارثكُمْ مَغصوبُ(٥٠)

فالاستفهام الإنكاري في البيت الثاني تعاضد مع المعنى القراني، وجعل الشاعر يعبر عن حاله ومدى حزنه على مصاب أهل البيت (عليهم السلام)، فتوظيفُ المعنى القراني حاضرٌ في تصوير الخليعي لأحداث الطف ووصف مصاب أهل البيت (عليهم السلام)،وقال مصورا حال العقيلة زينب والإمام السجاد (عليهما السلام): (المنسرح)

وزينبٌ بينهنَّ باكيةٌ عظم الرَّزايا وشِدّةَ المِحنِ

وابن اخيها السَّجادُ يَقْرأُ ما أعدَّ لِلصابرينَ ذو المنن(٥١)

(وفي ذلك تناص مع المعنى القرآني فكثيرة هي الآيات التي تتحدث عن الصابرين ومنها قوله تعالى ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ • الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [٥٢]،فالشاعر يستلهم المعاني القرآنية التي تشيد بمنزلة الصابرين في الإسلام ،و يشير لما أعده الله لشهداء الطف إزاء صبرهم على ما أصابه ،و التناص بذلك لم يضف بعدا جديدا إنما هو مجرد إعادة إنتاج للنصوص في سياقاتها التاريخية، فيبدو أن التناص قد جاء شكليا، وكان بإمكان الشاعر أن يوظفه بمزيد من الحيوية والفعالية ليعكس دلالات أكثر عمقا، بدلاً من الاكتفاء بالطابع السردي التقريري الذي برز سمةً لهذا التناص ،ويلجأ إلى التناص المعنوي لنفس الغرض السابق، فيقول على لسان الإمام الحسين (عليه السلام) مخاطبا زينب (عليها السلام) الكامل)

كفي الدموع وارقبي رب العُلى فعليك منه أفضل الصـــــلوات

وتيقني ان الشهـــــيد مخلدٌ ولاتحـــــــــبيه يعد في الاموات(٥٣)

ومعنى تخليد الشهداء مأخوذ من قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)** ﴾ [٥٤]،واستعار الشاعر هذه المعاني من القران في مشهد درامي يجسد خطابا على لسان الحسين(ع) موجهاً للعقيلة زينب (ع)كي يخفف من حزن العقيلة ويصور كيف أن ال البيت يواسون أنفسهم بما اعد الله لهم في الجنة،فالإيمان بالجزاء الأخروي ،والصبر على المصائب يعد من الركائز الأساسية في العقيدة الإسلامية ، فذكر الشاعر الجنة ليهون المصائب ويمنح القوة للتغلب على الألم عن طريق الصبر؛ ليساعدها على الرضا واستمرار دورها في إكمال رسالة الإمام ،فكانت واقعة الطف هي المجال الأكثر اتساعا الذي استلهم منه الخلعي النص القرآني، ليشير إلى حرمة أهل البيت التي أكدها القران وتجسيد ما فعله أعداء أهل البيت من انتهاك لهذه الحرمة ،فيقول على لسان فاطمة(ع) مصورا مدى حزن الزهراء على الإمام الحسين :

من ترى جرعت في ولدها غصصا كما ابن مرجانة الملعون جرعني

من تُرى كذبت قبيلي وقد علموا إن الإله من الأرجاس طهرني(٥٥)

فمعنى البيت الثاني مقتبس من قوله تعالى واصفا تطهير الله لأهل البيت قال تعالى ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (٥٦) فالتطهير تكريم الهي من الله تعالى وهو دليل اصطفائهم من قبل الخالق ليكونوا معصومين من الذنوب ومبتعدين عن كل رجس، وليكونوا مثالا للطهارة الأخلاقية ،وهذه الآية ارتكز عليها الخليعي كثيراً في بيان مظلومية أهل البيت وحقهم ،والأبيات تبدأ باستفهام استنكاري لبيان مصاب فاطمة الزهراء ومدى حزنها،الذي فاق حزن نساء العالم،وقال في موضع آخر مبيناً المنزلة التي وهبها الله لأهل البيت : (الهزج)

لقد زادكم الرحما ن تسليما ورضوانا(٥٧)

وكأن الشاعر يردد معنى قوله **"إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"**(٥٨) يتضح أن هذا التوظيف يعمد بشكل أساسي إلى إبراز المنزلة الروحية لأهل البيت، إلا أن التناص عندما تكرر في شعره بذات الطريقة ولذات الغرض ،بات علامة على افتقار و ضعف التناول الأدبي إذ نجده يكرر الفكرة في مواضع عدة دون تقديم منظور جديد أو معالجة مبتكرة مغايرة عن هذه النمطية المكررة، مما حوّل التناص إلى مجرد تكرار لا يحمل قيمةً أضافية ،وهذا التكرار يعكس افتقار النص إلى والتجديد والإبداع ليصبح مجرد عنصر شكلي يفتقر للجوهر،وبرز ذلك في الطريقة التي تحولت بها إشاراته القرآنية إلى نقل تقريري لا يتجاوز مستوى السرد المعروض في إطار شعري ، كما عبّر عن عملية النقل هذه حين وصف عملية الإبداع الشعري عند محبي أهل البيت والطريقة التي يؤثر بها القران في صياغة أشعارهم ، فكأن عملية التناص عمليةٌ آليةٌ مقصودةٌ يلجأ إليها متعمدا قال : (الكامل)

لكنهم نظروا الكتاب فضمنوا من مدحكم ما جاء في الآيات

ليبدلن الله خوف وليكم أمنا ويجزيهم على الحسنات (٥٩)

فالقران مصدرٌ مهمٌ للمعاني الروحية والأدبية، فما عملية النظم عندهم إلا استحياء المعاني القرآنية التي وصف الله بها أهل البيت،ولعله هنا يتحدث عن تجربتهو يشير إلى عملية النظم عنده هو كشاعر وتفاعله مع النص المقدس، وفي النص إشارة إلى الآيات القرآنية التي أنزلت في حق آل البيت وهذا تناص مع المعاني القرآنية أما البيت الثاني فكان الشاعر ينظر في قوله تعالى ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** (٦٠)﴾ والشاعر يبين أن الشعراء الذين ينظمون في أهل البيت لابد أن يستمدوا صورهم من القران لما به من إشارات لفضائل أهل البيت (ع) تكريمهم الرباني،وبذلك نجد المعاني التي وظفها الشاعر منها ما أضافت للنص بشكل عميق ومنها ما تركت النص بدون إضافة حقيقية وكأنه وصفٌ تقريريٌّ.

المبحث الثالث :التناص مع القصص والشخصيات القرآنية

يورد الشاعر أحيانا قصصا قرآنية ؛لتعميق الدلالة ولتوصيل الفكرة التي يرومها للمتلقي قال : (المنسرح)

لو لم تغث نُوحَ عند شدته مَا حَمَلته الألواحُ والدسُر

ففي البيت تناص مع قصة سيدنا نوح (ع)وقوله تعالى ﴿ **وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾ [٦١]،وهنا إشارة إلى ما ورد في كتب الشيعة في تفسير هذه الآيات إذ يؤكد أن عليا كان حاضرا في مختلف الأحداث الكبرى في تاريخ الأنبياء ،ليبين المكانة الخاصة لهذا الإمام،فقد روي عن النبي (ص) قال: لما أراد الله أن يهلك قوم نوح أوحى إليه وأمره ببناء السفينة، وأثناء البناء نزل جبريل ليُرشد نوح ويوفر له مسامير خاصة لصناعة السفينة بجودة عالية ،وعندما ضرب جبريل بيده على أحد المسامير، أضاء بشكل واضح، ليخبر نوح أن هذا المسمار يحمل اسم النبي محمد (ص)،وبعد ذلك كرر الأمر مع مسمار آخر، موضحًا أن هذا المسمار يحمل اسم الإمام علي (ع) ،و ترمز هذه القصة إلى النورانية الفائقة والمكانة المميزة للإمام علي عليه السلام، وهو ما سعى الشاعر إلى تأكيده من خلال هذا التوظيف الأدبي لهذا المشهد [٦٢]،وقال في موضع آخر مادحا الإمام علي: (المنسرح)

باسمك الأعظم اغتدت نارُ ابـ راهيمَ برداً ودونها نضرُ

ولو عداكَ الكليمُ مبتهلاً لم تلتقف عصاهُ ما سحروا

وعنك ورى المسيح حين دعا ميتا فلباه عظمه النخرُ[٦٣]

النص يشير إلى قصص الأنبياء منها قصة النبي إبراهيم(ع) الذي القي في النار وقصة موسى(ع) الذي تلقفت عصاه سحر المشركين ، والنبي عيسى ومعجزة إحياء الموتى، والشاعر بذلك أرد أن يوصل رسالة أتباع مدرسة أهل البيت؛ ليوضح أن الإمام علي (ع)ليس مجردَ صحابيٍّ عادي بل إن له مكانةً في تاريخ الأنبياء فهو شخصيةٌمحوريةٌ وأساسية في خطة الخالق منذ بداية الخلق، وله دورٌ في تاريخ الرسالات السماوية وحوادثها .

وقد تناص الشاعر مع القصة القرآنية وهو يمدح الإمام علي (عليه السلام) في موضع آخر:

(البسيط)

إن يحسدوك فذو التقصير شيمته يرمى أولي الفضل من لشنآن

وكيف لا وألو التعظيم ما سلموا من قبل من كيد فرعون وهامان [٦٤]

فهو هنا يتناص من معاني القصص القرآنية التي وردت في القران قال تعالى:**" وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ**﴾ [٦٥]،فالشاعر يريد أن يقول إن كل الذين جاءوا بالحق تعرضوا للحسد وحاول أعداؤهم الانتقاص منهم ويضرب الأمثلة على ذلك مستوحيا مما

ورد في النص المقدس من صور هؤلاء المستكبرين أمثال قارون وفرعون وهامان،وهذا شاهد من القران في بيان شعور النقص والحسد الذي يتحكم بالإنسان .

ومن اثر التناص مع القصص القرآنية استلهامه قصة ناقة صالح (ع)،إذ يقتطع جزءًا من القصة القرآنية التي وردت في القران الكريم قائلا : (الخفيف)

قتلتـــهُ عصـــابة الكُفـــر عطشـــا ـــــ نا فلا بل ذو الجلال وثراها
لـــيس الناقـــة التـــي دمـــدم اللـــ ـــــ ـه على معشرٍ ابو سقياها
كحســـينِ ســـوف ينـــتقم اللـــ ـــــ ـه لهُ عن بعثه أشقاها (٦٦)

الناقة الوارد ذكرها هي ناقة صالح (ع) التي عقرها قومه فاستحقوا العذاب ،وهذا البيت يتناص مع سورة الشمس إذ شبه قاتل الإمام الحسين بعاقر ناقة صالح حيث تناص مع قوله تعالى ﴿إذ انبعث أشقاها ﴾ (٦٧)،والملفت أنّه نفي التشبيه الوارد؛ فمكانة الإمام (ع)ومصيبته والمعصية التي ارتكبت بحقه لم تكن حادثة طبيعة بل هي حادثة هزت السماء و أغضبت الله ؛لأنها حالة ظلم فاقت الحدود والإدراك؛و لهذا السبب يكون عقاب قاتليه أشد من عذاب عاقري الناقة،بالرغم من أنَّ الحادثتين تشيران إلى عصيان البشر للأوامر الإلهية ، وقد أضاف النفي على الصورة المستمدة من القران قوة مكثفة؛ لأنها جعلت النص بمثابة مقارنة، إذ ساعد في إخصاب المعنى والارتقاء به،مما جعل التناص أكثر فاعليةً حيث أن حادثة قتل ناقة صالح كانت بمثابة محاكمة إلهية لقوم عصوا الله، وكانت حادثة قتل الحسين في معركة الطف ذات أبعاد تاريخية عميقة ؛ لأن الحسين يرمز إلى العدالة والمقاومة ضد الفساد رغم أن كليهما يحمل رسالة قوية ضد التمرد على الله ورسوله، فأن حادثة الحسين تحمل طابعا عاطفيا وروحيا عميقا في التاريخ الإسلامي وخاصة عند الشيعة الإمامية.

ويمكن القول بأنَّ القصص القرآنية في الغالب قُدمت دون تعمق في تطوير أو تحليل معانيها، وهذا ما جعل التناص في القصيدة يتصف بطابع تقليدي قلما وردت مبتكرةً أو متجددةً و، فالهدف الأساسي منها هو إيصال رسالة جلية تتمثل في الدعم التام وغير المحدود من الشاعر والولاء غير المتناهي لأهل البيت.

المبحث الرابع :التناص مع التركيب والصور القرآنية

استطاع الخليعي أن يضمن في أشعاره أجزاءً من الآيات القرآنية محاولا أن يكسب أبياته جمالا ورونقا ،ويزيدها قوةً ويجعلها أكثر تأثيرا ،ومن ذلك قوله متحدثا على لسان فاطمة الزهراء (عليها السلام):

أين المَودَّةُ في القَرابةِ يا ذَويْ الإ يْمان مَا هذي القَطيْعَةُ و القَلا(٦٨)

وفي هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(٦٩)،وقد عضد هذا التناص القراني الاستفهام الإنكاري في صدر البيت وعجزه ،والشاعر يتحدث عن حقوق فاطمة الزهراء (عليها السلام)بميراث أبيها ،فالله تعالى قد أوصى بالأيتام فكيف تسلب بنت نبيه حقوقها،وقد شهدت الزهراء في حياتها التحديات ، وخاصة فيما يتعلق بحقها في ميراث فدك، وكان من المفترض أن يتمتع أهل البيت بمودة خاصة من قبل المسلمين في حياة الرسول(ص) وبعد وفاته . (مجزوء الرمل)

أترى لم يدر ما أُنـْ زِلَ في دَعّ اليتامى(٧٠)

فالتركيب "دع اليتامى"مأخوذة من الآية القرآنية "**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ**(٧١)"ويوظف الشاعر الآية لخدمة غرضه ؛لكي تكتمل الصورة التي يريد إيصالها للمتلقي،وهي إبراز حقوق الزهراء (ع)،وقال الخليعي مادحا الإمام علي:

أسماؤك المشرقات في أوجه الـ قران في كل سورة غرر

سماك رب العباد قسورة من حيث فروا كأنهم حمر(٧٢)

في الأبيات إشارة إلى قوله تعالى﴿ **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ *فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ** ﴾ (٧٣)وقسورة لقب من ألقاب الإمام علي (ع)ذُكر في القران في سورة المدثر حين شبه المشركين عند قيام الساعة بالحمر الوحشية التي فرت يمينا وشمالا عندما رأت الأسد، فهنا يعيد ترتيب الآية ويستعملها في غير سياقها قاصدا بيان شجاعة الإمام مستفيدا من التصوير القرآني . (المنسرح)

عليك يوم المعاد مُتكلي وأنتَ لي عدَّة ومدَّخرُ

في يوم تبلى الورى فيدري مَنْ الصَّادق منهمْ والكاذبُ الأشِرُ

يوم يَقولُ الإله جَهْراً : قِفو هم وسألوهم لدي واختبروا(٧٤)

ففي البيت الأخير تصويرٌ ليوم القيامة و استعان الشاعر لهذا التصوير بثقافته الدينية ومرجعياته القرآنية ،فقد تناص الشاعر مع التصوير المشهدي بدقة ،فكأنه ينظر في قوله تعالى ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤)** ﴾ (٧٥)فاستلهم الصورة ووظفها بطريقته، لبيان أهوال يوم القيامة فلا أصدق من تصوير القران لهذه الأهوال ،وجاء توظيفه للصورة في سياق مغاير ليتناسب مع المعنى المنشود وللتعبير بأن الشعر في ال البيت هو طوق النجاة الذي يتمسك به الشاعر للخلاص .

وظف الشاعر مرجعياته الدينية ؛ليبرز مكانة الإمام علي عن طريق إظهار ما ورد بحقه من آيات ،ويستمر في ذكر فضائل الإمام علي(ع) متحدثا على لسانه متناصا مع القران في معانيه وألفاظه،قائلا:

(مجزوء الرمل)

وروا الينبوع من علـ مي بكأس من معين
فأنا مستودعُ الأسـ رارِ والغيب المصونِ
وأنا الهادي إلى سبل الهدى فاتبعوني(٧٦)

ففي البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ ، فرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) المنذر وبعلي يهتدي المهتدون [٧٧]،والبيت الأول يحيلنا إلى قوله " **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ**"[٧٨]،فهذا التعبير تناص قراني حين وصف الله سبحانه وتعالى جنانه لبيان فضل الإمام،و جعل الشاعر الينبوع َيروي ما للإمام من صفات فالخليعي استعمل الصورة المجازية ذاتها التي استعملها القران الكريم ووظفها في خدمة نصه،من الأبيات الثلاثة يشر الشاعر أن الإمام(ع) لايقود الأمة فقط بالأفعال بل بالمنطق والكلام والحكمة التي تخرج من لسانه فالموعظة والحكمة ا هي انعكاس لعلمه ،وهي أدوات قوية للهداية ،إشارة إلى إدراكه غير المتناهي بمسؤولية الكلام في تغيير الواقع وتهذيب النفوس.

وقال الشاعر واصفاً حال أعداء الإسلام ومحاولاتهم الدائمة محاربة الإسلام والقضاء عليه :(الطويل)

وكم جهد وان يطفئوا نور ربهم بأفواههم والله خير متمم[٧٩]

فالبيت تناص من قوله تعالى في سورة التوبة ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ وهذا نقل آلي تقريري لا جديد فيه ،ويقسم الخليعيّ بالرسول وأهل بيته سالكا طريق الكناية قال : (البسيط)

أقسمتُ بالمُصطَفى يَميناً وآله عدَة الشهور[٨٠]

فـ(عدة الشهور) تعبير قراني استمده الخليعي من قوله تعالى ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ** ﴾ [٨١]ففي الأبيات يكنى الشاعر بقوله (عدة الشهور)عن عدد الأئمة الإثني عشر(ع) ،فهو قسم بالرسول(ص) واله ،يفيد تعظيم المعنى الذي كان الشاعر بصدده،و يشير إلى مكانة وعظمة هؤلاء الشخصيات في عقله وقلبه ،وهي إشارة احترام وتبجيل؛ لأنهم قدوة في الأخلاق والتضحية ،والفضل والقسم بهم إشارة إلى صدق المشاعر ،ويعكس ارتباطا دينيا وعاطفيا عميقا،و في نص آخر قال الشاعر متخيلا حال الأشخاص الذين يناصرون أعداء أهل البيت وموقفهم يوم القيامة : (الخفيف)

وبيوم التناد فهو المنادي ليت لم اتخذ فلاناً خليلا[٨٢]

فالشاعر هنا يتناص مع من الآية القرآنية قوله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا** ﴾ [٨٣]، وهذا التناص من الكثير في شعره الذي يفتقر إلى الجديد و الإبداع ،ويمثل الصور التقريرية المنقولة فسياق الآية يوضح كيف أن أعداء الله سيتندمون ؛لأنهم لم يتخذوا من الرسول طريقا للنجاة يتخذ الشاعر من هذه الآية انطلاقا له في مدح ال البيت ؛لأنهم امتداد للنبي (ص)،ساروا على نهجه فهم سفينة النجاة قال الرسول " إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا احدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما))[٨٤] ، وفي موضع آخر قال الشاعر ذاكرا زوار قبر الحسين (ع) (مجزوء الوافر)

سلام الله ذي الحُجب على الزوار في رجب

نالوا الفوزَ واعتصموا بحبل الله والسبب(٨٥)

وهنا إشارة إلى قوله تعالى ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (٨٦)،حيث جاء في معنى(حبل الله)أقوال أحدها انه القرآن، وثانيهما انه دين الله الإسلام ،وثالثهما ما رواه إبان بن ثعلب عن جعفر بن محمد (ص) قال :نحن حبل الله(٨٧)،فالشاعر جعل ذكر حبل الله في موضع الحديث عن جزاء زوار قبر الحسن ،فقد قصد بالحبل ال البيت (ع) ،وبذلك يتناص الشاعر مع الصور القرآنية؛ لبيان صورة انتمائه وترسيخ ولائه ،واختيار هذا التصوير القرآني دليل على إطلاع الشاعر وعلمه بالمواضع التي ذكر فيها أهل البيت في القران ،ومثل ذلك كثر في شعره٨٨ ،وقال في موضع آخر(الخفيف)

قبحت أنفسٌ أطاعت هواها وعصت من بلطفه سوّاها

ألهمتْ رُشدَها وعلَّمها اللـ ـهُ فجورَ النُّفوس من تقواها

وعدها نهج السبيل وقد أفـ لَحَ من الولاء قد زكاها

مؤمنا عارفاً وجوه البرا من كُلِّ باغ وخاب من دساها(٨٩)

وهنا يبرز التناص القرآني إذ اتخذ الشاعر من سورة الضحى منطلقا بنى عليه نصه،والملفت هنا أن هذا الأبيات في أكثر نصوص الخليعي التي برز فيه التناص القراني ،لأنه يعتمد فيها على أكثر من آية قرنية ،ولجأ الشاعر إلى ذلك للتأكيد على فكرة معينة تتناسب مع الأفكار التي تحملها الآيات القرآنية مما منح القصيدة بعدًا أكبر من خلال تضمين معانٍ روحيةٍ وفكريةٍ مما أضاف عمقا شعريا ساهم في تعزيز التأثير في المتلقي،فتمركز النص على قوله تعالى""**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا • قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا •وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**(٩٠)"،ففي كل بيت حاول الشاعر أن يضمن جزءًا من الآيات القرآنية السابقة ،و الآيات في السياق القرآني تشير إلى خلق الله للبشر وإن الله دلهم على فجور النفوس وتقواها ،وأفلح من ألزم نفسه بطاعة الله ،أما في النص فالخروج عن ولاء أهل البيت وحبهم ،وهو ما يؤدي إلى فساد النفس، وقال في موضع آخر مادحا الإمام علي ذاكرا يوم الغدير: (المنسرح)

انكر قومٌ عيد الغدير وما فيه على المؤمنين من نكر

حمك الله في العباد به وسرت فيهم بأحسن السير

وأكمل الله فيه دينهمو كما أتانا في محكم السُّر(٩١)

ففي البيت الأخير تناص محور من قوله " **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**"(٩٢)فيروى عن الإمام الصادق (ع) إنها نزلت بعد أن نصب النبي (ص) عليا (ع) يوم غدير خم

[٩٣]، كذلك يورد الشاعر في موضوع آخر مميزات الإمام علي أنه اقترن بخير نساء الدنيا والآخرة الزهراء (عليها السلام) قال: (المنسرح)

يـــــاقرين الزكيـــــة البضـــــعة ... الزهراء أم الأطاحب النُجب
صـــاحبة المنـــزل المُزخـــرف فـــي ... مقعد صدق واشرف الرتب[٩٤]

فالشاعر في النص أراد أن يبين منزلة الإمام علي فهو قرين الزهراء ، وبين منزلة الزهراء (ع) عن طرق تصوير مكانتها في الجنة ،فهي في الموضع الذي أعده الله للمتقين وهذا تناص من الآية قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ [٩٥]،وفيه إشارة إلى المكانة والمنزلة العالية تحظى بها سيدة النساء في الجنة وتأكد لمكانة الطهر في العالم الآخر.

الخاتمة

بعد هذا الطريق العبق الذي سلكناه ونحن نتتبع أريج الذكر القراني الذي فاح شذاه في شعر الخليعي مزينا إبداعه الأدبي نلخص إلى أهم النتاج وهي :

- إن التناص ملمحٌ ساسيٌّ تجلى كسمةٍ بارزةٍ للهوية الدينية للخليعي فشخصيته الأدبية إسلامية مشبعة بروح القران الكريم.
- النصوص الشعرية للخليعي ازدانت بمفردات القران الكريم، وتشبعت بها مما يعكس تأثره المطلق به ، إذ هيمنت مفردات مثل أسماء الله الحسنى وأسماء والقران ،وألفاظ العبادة وغيرها ،وأسهمت في تعزيز المعنى الإيحائي، عن طريق توسيع معنى النصوص التي تضمنها و إغنائها بنفحات قرآنية جلية.
- إن روح القران الكرم ومعانيه وألفاظه وتراكيبه وصوره قد استقرت في فؤاد الشاعر وعقله وظهرت بقصائده بأنماط من التناصات، وبما أن جل شعره في أهل البيت فقد جاء التناص ليبرهن على الوشائج العميق بينهم وبين القران ،فشكلت بؤرة المعنى للقصائد عامة باعتبارها غايةً عقائديةً عند الشاعر ،وكانت ثيمة التناص الوسيلة في إبراز هذا التواشج .
- ورد أكثر التناص القرآني في مدائح الإمام علي عليه السلام ؛ ليركز على الآيات التي ورد فيها ذكر الإمام ؛لإبراز التكريم الإلهي لهذا الإمام.
- لجأ الخليعي للتناص لإعادة تفسير بعض الأحداث التاريخية كحادثة الطف أو بيان حق الزهراء في ميراث أبيها عن طريق إعطاء هذه الأحداث بعدها الفلسفي وبحثا في ما وراء

الحادثة فهي لست حدثا تاريخيا بل هي رسالات وعبر حياتية وأحداث مقدرة ترسخ منزلة أهل البيت التي حباهم الله وخصهم بها ،ويحاول أحيانا كثيرة تفسير النصوص القرآنية في سياق الأبيات الشعرية معتمدا على عقيدته الراسخة في تفسير هذه الآيات.

- تجاوز التناص كونه وسيلة فنية فأصبح وسيلة عقائدية ،فالخليعي عند التناص يركز على فضائل وحقوق أهل البيت،فلا يمكن فصل الوظيفة الفنية عن الوظيفة العقائدية في شعره .
- في ختام هذه النتائج يجب أن نذكر أمرا مهما ،وهو أن استحضار النصوص عندما يكرر لأغراض عقائدية بحتة يؤدي إلى ضعف القوة الفنية ؛لأنه سيعتمد على تفسير الآيات، وفقا لمذهب معين يؤمن به الشاعر، وبذلك يمنع القارئ من فرصة إدراك أبعادٍ جديدةٍ لتوظيف التناص في القصائد الشعرية، وهذا ما نجده في شعر الخليعي إذ تحولت عملية التناص إلى آلية شرح مفتقرة للحيوية الفنية في أكثر مواضع ؛ لأن الأهدافَ منه أهدافٌ عقائديةٌ مجردةٌ، وهذا ما قلل من فعالية ورونق هذه الثيمة في النصوص على مستوى الأدب ؛لأنها توجهت نحو غاية واحدة ومعينة.

الهوامش

[١] ينظر:تاج العروس من جواهر القاموس / ١٨٢/١٨
[٢] ينظر:التناص وإنتاجية المعاني/حميد الحمداني /مجلة علامات في النقد والأدب /ج٤/مجلد ١٠/ ربيع الآخر /٦٧
[٣]ينظر: التعدد اللغوي وحوارية الخطاب في الرواية عند باختين /رشد وديجى/مجلة تبين/ع٢٩/٨/٢٠١٩/٨٤
[٤] أساطير شرقية / ٣٢ـ ٣٩
[٥] ينظر:دراسات في النص والتناصية /١٩٩٨
[٦] ينظر:م.ن /٣٨
[٧]ينظر: التفاعل النصي والترابط النصي بين نظرية النص والإعلاميات /سعيد يقطين /مجلة علامات /مجلد٨/ عدد ٣٢/ ٢١٨ / ١٩٩٩
[٨] ينظر دائرة المعارف الحسينية,ديوان القرن الثامن /٣٤١.

[9] "هو أبو الحسن جمال الدين علي بن عبد العزيز بن أبي محمد بن نعمان بن بلال الخليـــــعي"" الخفاجي النسب, والحلّي, والحائري, وذلك لأنّهُ أقام في كربلاء مدة ثمّ هاجر إلى الحلة, واتصل بعلمائها وأدبائها" ولد الشاعر في الموصل وعمل في بيع الخلع في سوق الأربعاء هناك وهو رجل شيعي متمسك بمذهب الإمامية .ينظر: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان / ١ /١٤.ومراقد المعارف / ١/ ٢٨١ . ٢٨٣ ،وقلائد الجمان / ١٥ – ١٤٥

(١٠)الخصائص /١/٣١٢ .

(١١)العمدة / ١/١٢٤ .

(١٢)صبح الأعشى في صناعة الإنشا/ ١/١٨٥ .

(١٣)ينظر:الإعجاز الفني في القرآن/ ٧٢ .

(١٤) الإسراء /١١٠

(١٥) ديوان الخليعي/١٢١

(١٦) سورة النبأ١ـ٣

١٧ الكافي/ ١/٢٠٧

(١٨)ديوان الخليعي /٤٩ ـ٥٠

(٢٠) الزخرف/١،٢

(٢١) سورة النبأ١ـ٣

٢٢ ينظر :الكافي : ١/٢٠٧

(٢٣)ديوان الخليعي/ ١١٧

(٢٤) الفرقان/١

(٢٥) م.ن/٧٤

(٢٦) الإسراء/٧٩

(٢٧) ينظر :لسان العرب/مادة جهد /١٣٣/٣

(٢٨) التوبة /١١١

(٢٩) ديوان الخليعي/ ١٣٠

(٣٠) ديوان الخليعي/ ٦٦

(٣١) م.ن/٥٦

(٣٢) م.ن/ ٨١

(٣٣) م.ن/٧٦

(٣٤) ديوان الخليعي/٦٨

(٣٥) معاني الأخبار /٩٥

٣٦ورد عن الإمام علي (ع) قوله : "أنا اسمي في الإنجيل إليا وفي التوراة بريها وفي الزبور أرى وعند أمي حيدرة ،بحار الأنوار ٢٨٣/٣٣

(٣٧) ينظر: الكشاف المنتقى لفضائل المرتضى (ع)/١٧ ـ ١٠٨

(٣٨) ديوان الخليعي/ ١١٥

(٣٩) م.ن/ ١١٥

(٤٠) العنكبوت/٢٠

(٤١) الإنسان/١

(٤٢) ديوان الخليعي/٥٦

(٤٣) المائدة /٦٧

(٤٤) الغدير/١/٢١٤

(٤٥) ديوان الخليعي/ ٦٤
(٤٦) مريم /٥، ٦
(٤٧) النمل /١٦
(٤٨) ديوان الخليعي/ ٢٠٠
(٤٩) الشورى /٢٣
(٥٠) ديوان الخليعي/ ٢٠٧
(٥١) م.ن/ ٢٠٩
(٥٢) البقرة /١٥٥ـ ١٥٦
(٥٣) م.ن/ ١٨٢
(٥٤) ال عمران/١٦٩
(٥٥) ديوان الخليعي/٥٦
(٥٦) الأحزاب/٣٣١
(٥٧) ديوان الخليعي/ ٢١٥
(٥٨)الأحزاب ٥٦
(٥٩) ديوان الخليعي/ ١٨٢
(٦٠) النور/٥٥
(٦١) سورة القمر/١٣
(٦٢) ينظر :بحار الأنوار/١١/ ٣٢٨، ٣٢٩
(٦٣) ديوان الخليعي/ ١٢٣
(٦٤) م.ن/١١٨
(٦٥) العنكبوت /٣٩
(٦٦) ديوان الخليعي/٢٣٣
(٦٧) الشمس/١٢
(٦٨)ديوان الخليعي/ /٣٦
(٦٩) الشورى /٣٢
(٧٠) ديوان الخليعي/ /٥٨
(٧١) الماعون /١ـ٢
(٧٢) ديوان الخليعي/ ١٢٢
(٧٣) المدثر/٥١
(٧٤) ديوان الخليعي/ ١٢٥
(٧٥) الصافات / ٢٤
(٧٦)ديوان الخليعي/ ٦٧
(٧٧) ينظر:بصائر الدرجات /٦٧
(٧٨) الواقعة /١٨
(٧٩) ديوان الخليعي/ /٤٦
(٨٠) م.ن/١٠٣
(٨١) التوبة /٣٦
(٨٢) ديوان الخليعي /١٩٥

(٨٣) الفرقان/٢٧،٢٨
(٨٤))مسند احمد /٣٧٦/٤
(٨٥) ديوان الخليعي/١٤٦
(٨٦) ال عمران /١٠٣
(٨٧) مجمع البيان في تفسير القران /٢٨٧/٢
٨٨ ينظر :ديوان الخليعي/ ١٣٠ ، ٦٩ ، ٥٦
(٨٩) م.ن/ ٢٣٤
(٩٠) الضحى/٨-١١
(٩١) ديوان الخليعي/ ١٣٦
(٩٢) المائدة/٣
(٩٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القران / ٢٧٣/٣
(٩٤)ديوان الخليعي/ ١٢٩
(٩٥) القمر/ ٥٤ ـ ٥٥

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- أساطير شرقية /كرم البستاني /دار نظير عبود/١٩٩٤
- الأعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله ـ تونس ، ١٩٨٠م
- بحار الأنوار /محمد باقر المجلسي/ط١ /مؤسسة الوفاء /بيروت /لبنان
- بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار(٢٩٠) مؤسسة الأعلمي/طهران /١٣٦٢ه
- تاج العروس من جواهر القاموس /محمد مرتضى الحسيني الزبيدي /مجموعة محققين /دار الهداية /الكويت /د.ت.
- الخصائص ، ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة د.ت . الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ، د.ت .
- دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن الثامن /محمد صادق الكرباسي /المركز الحسيني للدراسات /لبنان/٢٠٠٠
- دراسات في النص والتناصية / ليون سومفيل / ترجمة د.محمد خير البقاعي/مركز الإنماء /الحضاري / حلب /١٩٩٨.

- ديوان الخليعي أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخليعي الموصلي الحلي ١٣٧٠ه/تحـ .سعد الحداد/٢٠١٠
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل/عبيد الله بن عبد الله الحاكم الحساني الحنفي(٤٧٠) /مؤسسة الأعلمي/بيروت/١٣٩٣ هـ
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أبو العباس احمد بن علي القلقشندي(٨٢١هـ) ، شرح وتعليق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ـ بيروت ، ط٥ ، ١٩٨١م .
- الفضائل /ابن شاذان بن جبريل القمي(٦٦٧) /الحيدرية /النجف.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان,كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلي ,(ت٦٥٤ه) ,تحقيق: كامل سلمان الجبوري, بيروت:٢٠٠٠م.
- الكشاف المنتقى لفضائل المرتضى/كاظم عبود الفتلاوي/المطبعة الحيدرية /ط١/٢٠٠٥م
- لسان العرب/محمد من مكرم ابن منظور الأفريقي المصري/دار صادر /بيروت .
- مجالس المؤمنين, نور الله بن شريف الشوشتري (ت١٠١٩ه), المكتبة الإسلامية – طهران.
- مسند احمد بن حنبل /احمد بن حنبل /تح.شعيب الأرناؤوط وآخرون /ط٢ /مؤسسة الرسالة /١٩٩٩.
- معاني الأخبار /الشيخ الصدوق(٣٨١)هـ /دار النشر الإسلامي/قم /١٣٦١.
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ط٣ /منشورات لجامعة الإسلامية،/ المدينة المنورة/١٩٨٩.

الأبحاث

- التعدد اللغوي وحوارية الخطاب في الرواية عند باختين التجليات والدلالة /رشد وديجى/مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية/ع٢٠١٩/٢٩.
- التفاعل النصي والترابط النصي بين نظرية النص والإعلاميات /سعيد يقطين /مجلة علامات /مجلد٨/ عدد ٣٢ / ١٩٩٩.
- التناص وإنتاجية المعاني/حميد الحمداني /مجلة علامات في النقد والأدب/مجلد ١٠/ ربيع الآخر. /ع٢٠٠١/٤٠